

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الإِيمَانُ طَمَانِيَّةٌ وَآمَانٌ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَرِيمِ الْمَنَانِ، جَعَلَ فِي الْإِيمَانِ رُقْيَّ الْإِنْسَانِ، وَالسَّعَادَةَ وَالاطْمِئْنَانَ، وَالاسْتِقْرَارَ وَالآمَانَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، الْخَيْرُ فِي طَاعَتِهِ، وَالشَّرُّ فِي مَعْصِيَتِهِ، وَالسَّعَادَةُ فِي اتِّبَاعِ هَدِيهِ وَشَرِيعَتِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، هَدِيَ اللَّهُ بِهِ الْعُقُولَ الْحَائِرَةَ، وَالْفَلَّ بِهِ بَيْنَ الْجَمْوَعِ الْمُتَنَاهِرَةِ، وَعَلَى اللَّهِ وَصَاحِبِهِ أَجْمَعِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَأُوصِيكُمْ وَنَفْسِي - عِبَادَ اللَّهِ - بِتَقْوَاهُ، وَالْعَمَلِ بِمَا فِيهِ رِضَاهُ، وَامْتِثَالِ مَرَاسِدِهِ وَهُدَاهُ، ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَتَقُوا اللَّهَ وَاءِمْنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفَلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلُ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾^(١)، وَاعْلَمُوا - رَحْمَكُمُ اللَّهُ - أَنَّ الْعَلَاقَةَ بَيْنَ الْآمِنِ وَالْإِيمَانِ، وَالصَّالِحِ وَالاطْمِئْنَانِ، جَاءَتْ وَاضِحَّةً جَلِيلَةً فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَفِي سُنْنَةِ رَسُولِهِ الْأَوَّلِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لِيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا أَسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَمْ يُمْكِنْنَهُمْ دِينُهُمُ الَّذِي أَرْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمَّا يَعْبُدُونَ فَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَسِيْفِيْنَ﴾^(٢)، إِنَّ الْاسْتِقْرَارَ وَالآمَانَ، مِنْ أَعْظَمِ الْأَهْدَافِ الَّتِي يَسْعَى إِلَيْهَا الْإِنْسَانُ، وَأَيُّ أَمْلٍ وَأَيُّ هَدَفٍ تَسْعَى إِلَيْهِ الشُّعُوبُ وَالْدُّولُ وَالْأَمْمُ فِي هَذَا الزَّمَانِ وَفِي كُلِّ زَمَانٍ، أَعْظَمُ مِنَ الْاسْتِقْرَارِ وَالآمَانِ؟ إِنَّ الْعَالَمَ الْيَوْمَ يَعِيشُ فِي بُحْبُوْحَةٍ مِنَ التَّقْدِيمِ الْمَادِيِّ وَالرَّفَاهِيَّةِ الْحَضَارِيَّةِ، وَمَعَ ذَلِكَ عَاشَ بَعْضُ النَّاسِ فِي حَالَةٍ مِنَ الرُّعْبِ وَالخُوفِ وَالقلْقَ، وَمَا أَشْبَهُهُمْ فِي ذَلِكَ بِحَالِ الْأَمَمِ قَبْلَ بِعْثَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهِ وَسَلَّمَ الَّذِي أَرْسَلَهُ اللَّهُ تَبارَكَ وَتَعَالَى رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَمَا تَرَالُ رِسَالَتُهُ بَيْنَ أَيْدِينَا غَضَّةً طَرِيَّةً، وَمَا نَزَالُ نَحْنُ حَمْلَةً هَذِهِ الرِّسَالَةِ الَّتِي يَجِبُ أَنْ نُؤْدِيَهَا إِلَى الْعَالَمِ كُلِّهِ وَإِلَى أَنْفُسِنَا أَوَّلًا،

(١) سورة الحديد / ٢٨ .

(٢) سورة النور / ٥٥ .

﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ الَّهِ نُورٌ وَّكِتَبٌ مُّبِينٌ، يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ، سُبْلَ الْسَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلْمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ، وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صَرْطِ مُسْتَقِيمٍ﴾^(١).

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

إِنَّ الْمُتَّابِعَ لِآيَاتِ كِتَابِ اللَّهِ، وَالْمُتَّأْمِلَ لِمَرَاسِدِهِ وَهَدَاهُ، يَجِدُ أَنَّ الْأَمْنَ النَّفْسِيَّ ثُمَّرَةً مِنْ تِمارِ الْهِدَايَةِ، وَالاضْطِرَابَ وَاللَّقَقَ نَتْيَاجَةً مُؤَكَّدةً مِنْ نَتَائِجِ الضَّلَالِ وَالْغَوَايَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيهِ، يُشَرِّحْ صَدَرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِيدُ أَنْ يُضْلِلَهُ، يَجْعَلْ صَدَرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٢)، إِنَّ الْأَمْنَ النَّفْسِيَّ حَالَةٌ مِنَ الْاسْتِقْرَارِ الدَّاخِلِيِّ لِلنَّاسِ، يَهْبِهُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، الَّذِينَ لَمْ يُلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ فِي حَقِّ أَنفُسِهِمْ وَأَسْرِهِمْ وَالآخَرِينَ، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ هُمُ الْأَمْنُ وَهُمُ الْمُهَتَّدُونَ﴾^(٣)، وَلِتَحْقِيقِ هَذِهِ الْغَايَةِ الْعَظِيمَةِ، وَالْوُصُولِ إِلَى هَذِهِ الْحَيَاةِ الْكَرِيمَةِ، شَرَعَ اللَّهُ لِلْمَرءِ فِي خَاصَّةِ نَفْسِهِ، مَا يُرِقُّ مَشَاعِرَهُ وَيُرْهِفُ حِسَّهُ، وَيَعِيشُ بِهِ حَلَوةَ الإِيمَانِ وَأَنْسَهُ، فَشَرَعَ لَهُ التَّوْحِيدُ وَالإِيمَانُ، وَأَوْجَبَ عَلَيْهِ تَزْيِيَةَ الْوَاحِدِ الْدِيَانِ، تَوْحِيدًا يَنْفِي عَنْهُ اضْطِرَابَ الْأَفْكَارِ، وَإِيمَانًا يُثْبِتُهُ فِي مُوَاجَهَةِ الْأَكْدَارِ وَالْأَسْرَارِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِي اللَّهُ بِصُرُّهِ هَلْ هُنَّ كَشِفَتُ صُرُوهُ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةِ هَلْ هُنَّ مُمْسِكُتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾^(٤)، وَقَالَ جَلَّ شَانُهُ: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَأَخْشُوهُمْ فَرَادُهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنَعَمْ الْوَكِيلُ، فَلَنَفْلَبُوا بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلِ لَهُمْ يَمْسِكُمْ سُوءٌ وَاتَّبِعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ، إِنَّمَا ذَلِكُمُ الْشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلَيَاءَهُ، فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾^(٥)، إِنَّ الْمُؤْمِنَ بِهَذَا الْيَقِينِ،

(١) سورة المائدة / ١٥-١٦.

(٢) سورة المؤمنون / ١٢٥.

(٣) سورة الأنعام / ٨٢.

(٤) سورة الزمر / ٣٨.

(٥) سورة آل عمران / ١٧٣-١٧٥.

المُعْتَدِ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، يَعِيشُ فِي حَالَةٍ مِنَ الْأَمْنِ النَّفْسِيِّ، وَالاستِقْرَارِ الدَّاخِلِيِّ، فَتَجِدُهُ ثَابِتًا فِي خَطْوَاتِهِ، مُسَدَّدًا فِي مَوَاقِفِهِ وَقَرَارَاتِهِ، قَالَ تَعَالَى: «وَالَّذِينَ أَهَدَوْا زَادُهُمْ هُدًى وَأَنَّهُمْ نَقَوْنَهُمْ»^(١).

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:

إِنَّ الْعِنَاءَ بِأَمْنِ الْأُسْرَةِ مِنْ أَعْظَمِ مَقَاصِدِ الإِسْلَامِ، فَقَدْ نَالَتِ الْأُسْرَةُ نَصِيبًا وَافِرًا فِي تَشْرِيعَاتِهِ الْعَظَامِ، فَنَجِدُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ أَوْلَ مَا أَمَرَ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِنْذَارِ عَشِيرَتِهِ الْأَقْرَبِينَ، قَالَ تَعَالَى: «وَإِنِّي أَنذِرُ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ»^(٢)، وَقَالَ سُبْحَانَهُ مُخَاطِبًا عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فُوْأَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِكُمْ نَارًا»^(٣)، وَالرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَدِّدُ لِأَمْمَتِهِ مَعَالِمَ الْخَيْرِيَّةِ، وَيُبَيِّنُ لَهُمْ مِيزَانَ الْأَفْضَلِيَّةِ، بِحُسْنِ الْعِشْرَةِ الْأُسْرِيَّةِ، فَعَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا - قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي))، إِنَّ تَحْقِيقَ هَذَا الْهَدَفِ يَكُونُ بِالِّإِقْبَالِ عَلَى بِنَاءِ الْأُسْرَةِ، وَالاِهْتِمَامِ بِهَا تَرْبُوِيًّا وَخُلُقِّيًّا، لَأَنَّ عَدَمَ ذَلِكَ يَحْصُلُ بِهِ ضَرَرٌ عَلَى النَّفْسِ بِاحْتِمَالِ الْانْحرَافِ عَنْ طَرِيقِ الْفَضْيَلَةِ وَالطَّهْرِ، كَمَا يُؤَدِّي إِلَى ضَرَرِ الْمُجَتمِعِ بِاِنْتِشَارِ الْفَاحِشَةِ، وَذُنُوبِ الْمُنْكَرِاتِ وَتَفَشِّي الْأَمْرَاضِ الْخَيْثَيَّةِ، لِذَلِكَ كَانَ مِنْ أَعْظَمِ الْإِثْمِ إِضَاعَةِ الْأُسْرَةِ، فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرُو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((كَفَى بِالْمَرْءِ إِنْمَا أَنْ يُضِيَّعَ مَنْ يَقُوتُ)).

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

إِنَّ اسْتِقْرَارَ الْأُسْرَةِ خَيْرٌ وَسَيِّلَةٌ لِتَهْذِيبِ النُّفُوسِ وَتَنْمِيَةِ الْفَضَائِلِ الَّتِي تُؤَدِّي إِلَى قِيَامِ الْحَيَاةِ عَلَى التَّعَاطُفِ وَالترَّاحِمِ وَالإِيثَارِ، حِيثُ يَتَعَوَّدُ أَفْرَادُهَا تَحْمُلُ الْمَسْؤُولِيَّاتِ، وَالتَّعَاوُنُ فِي أَدَاءِ الْوَاجِبَاتِ، وَعَدَّ الْإِسْلَامُ كُلَّ اِنْحرَافٍ يُصِيبُ النَّاسَيَّةَ مَصْدِرَهُ الْأَوَّلُ الْأَبْوَانِ، وَالْتَّفَكُكُ الْأُسْرِيُّ سَبَبُ الْجُنُوحِ وَالْتَّشَرُّدِ وَالْجَرِيمَةِ وَالْانْحرَافِ الْخُلُقِيِّ، فَالْأُسْرَةُ

(١) سورة محمد/ ١٧.

(٢) سورة الشوراء/ ٢١٤.

(٣) سورة التحريم/ ٦.

هي البيئة الأولى التي ينشأ فيها الأطفال صالحين، تغرس فيهم حب الله ورسوله وحب المسلمين، فترزول مع ذلك كل عوامل الشحناء والصراعات المختلفة، فيخرجون إلى الحياة رجالاً عاملين نافعين، يكونون لبنات صالحة للمجتمع، لذا كان الحرص على أمن الأسرة من أوجب الواجبات، والشهر على استقرارها من أفضل القربات، وقد قال تعالى في شأن المطلقات: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا نُضَارُوهُنَّ لِنُضِيقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَئِنِ حَمْلٍ فَأَنْقُقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعُنَ حَمْلَهُنَّ إِنَّ أَرْضَنَ لَكُمْ فَاعُثُرُوهُنَّ أُجُورُهُنَّ وَأَتَمِرُوا بِيَنْكُمْ مَعْرُوفٌ وَإِنْ تَعَاصِمُ فَسَمِرْضُعُ لَهُ أُخْرَى﴾ (١)، فإذا كان هذا هو الأمان الواجب للمطلقات، فكيف بحق الأولاد والزوجات؟!

أيها المسلمون:

إن كلمة الأم خفيفة على اللسان، عميقه في الوجدان، مطمئنة للجنا، إنها نعمه عظيمة، وغاية سامية، يسعى إليها كل إنسان، بل هو مطلب أساس لا تستقيم الحياة من دونه، وصورة الله جنباً لجنب مع مطلب الغذاء، بل قدماً عليه مرات لأهميته، قال عز وجل: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرِيَّةً كَانَتْ أَمِنَةً مُطْمَئِنَةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغْدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمَ اللَّهِ﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا أَمِنًا يُجْعَلَ إِلَيْهِ ثَمَرُتْ كُلُّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا﴾ (٣)، إن الحياة مع الأم رياض وجنت، وهي به من أعظم الهبات، يتبعها الإنسان فيها حياة طيبة مباركة، ويعيش عيشة راضية، يسان عرضه وأرضه، ودينه ومائه، ودمه وأهله، ويتفاني ظلال الحرية، ويكون آمناً في جميع أحواله، كل ذلك في ظل الإسلام، بل تلك هي حقيقة التي أكدتها رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام، فعن فضاله بن عبيده قال: قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع: ((ألا أخبركم بالمؤمن؟ من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده، والمجادل من جاهد نفسه

(١) سورة الطلاق/٦.

(٢) سورة النحل/١١٢.

(٣) سورة القصص/٥٧.

فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَالْمُهَاجِرُ مِنْ هَجَرَ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبَ)). إِنَّ الْأَمْنَ ضَرُورَةً لِكُلِّ نَبْضَةٍ حَيَاةً، وَحَرَكَةً بَنَاءً، وَكُلُّ كِيَانٍ اجْتِمَاعِيٍّ كَبُرٌ أَمْ صَغِيرٌ، يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْأَفْرَادُ كَمَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْجَمَاعَاتُ.

فَاقْتُلُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -، وَاحْرَصُوا عَلَى كُلِّ مَا يُحَقِّقُ أَمْنَكُمْ، وَابْتَدَعُوا عَنْ كُلِّ مَا يُزَعِّزُ اسْتِقْرَارَكُمْ، وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ، تَنَالُوا بِذَلِكَ السَّعَادَتَيْنِ، وَيَكْتُبُ اللَّهُ لَكُمُ الْأَمْنَ فِي الدَّارَيْنِ.

أَقُولُ قَوْلِيَ هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرُ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُ الْكَرِيمُ.

*** *** ***

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَوْجَبَ عَلَيْنَا الْحِرْصَ عَلَى مَصَالِحِ الْبِلَادِ، وَحَثَّنَا عَلَى الْإِحْسَانِ إِلَى الْعِيَادِ، وَحَرَّمَ عَلَيْنَا صُنُوفَ التَّرْوِيعِ وَالْإِفْسَادِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى الْمَبْعُوتِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَأَمْنًا لِلْأَوْفَيَاءِ وَالْمُنْتَقَيِّنَ، وَعَلَى اللَّهِ وَصَاحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فِيَاهَا الْمُؤْمِنُونَ:

إِذَا كَانَ الْحِرْصُ عَلَى الْأَمْنِ وَاجِبًا، وَإِشَاعَةُ الْخَوْفِ مُحَرَّمَةٌ كَمَا عَلِمْنَا، وَكَانَ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ مَفْرُوضًا عَلَيْنَا، فَإِنَّ التَّوْجِيهَاتِ الإِيمَانِيَّةَ تَقْتَضِي الْمُصَارَحةَ، وَالْمَسْؤُولِيَّةَ الْوَطَنِيَّةَ تَسْتَوْجِبُ الْمُنَاصَحةَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاتَّمِرُوا بِيَنْكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾^(١)، وَإِنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ الْحِرْصَ عَلَى أَمْنِ النَّاسِ، وَالْكَفَّ عَنْ كُلِّ مَا يُسَبِّبُ لَهُمُ الْأَذَى وَالْبَأْسَ، فَالإِضْرَارُ بِالْمُسْلِمِينَ، وَالتَّسْبِيبُ فِي تَرْوِيعِ الْآمِنِينَ، يُوجِبُ غَضَبَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَيَجْعُلُ صَاحِبَهُ مِنَ الْمُفْلِسِينَ، فَفِي الْأَثْرِ عَنْ سَيِّدِ الْبَشَرِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: ((أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، قَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ

(١) سورة الطلاق ٦/ .

أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصَيَامٍ وَزَكَاةً، وَيَأْتِي وَقْدَ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَيَبْتَ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ، أُخْدَى مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطَرَحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ)، فَأَيْنَ مِنْ هَذَا الْوَعِيدِ الْعَابِثُونَ بِالسَّيَّارَاتِ، الْمُرَوْعُونَ الْآمِنِينَ فِي الطُّرُقَاتِ، الْمُتَسَبِّبُونَ فِي الْحَوَادِثِ الْمُهَلِّكَاتِ، فَهَذَا الْحَبِيبُ الْمُصْطَفَى مُحَمَّدٌ ﷺ يَنْظُرُ إِلَى الْكَعْبَةِ الْمُشَرَّفَةِ - زَادَهَا اللَّهُ تَعْظِيمًا وَتَشْرِيفًا - الَّتِي يَتَوَجَّهُ إِلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ مِنْ كُلِّ أَقْطَارِ الدُّنْيَا خَمْسَ مَرَّاتٍ فِي الْيَوْمِ، يَنْظُرُ إِلَيْهَا الرَّسُولُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - وَيَقُولُ: ((مَا أَعَظَّمَكِ! وَمَا أَشَدَّ حُرْمَتَكِ! وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لِلْمُؤْمِنِ أَشَدُ حُرْمَةً عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْكِ)), وَهُوَ الْقَائِلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((الزَّوَالُ الدُّنْيَا أَهُونُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ)), وَهُوَ الَّذِي وَقَفَ يَوْمَ عَرَفةَ يُخَاطِبُ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ الْفِ مِنْ أُمَّتِهِ قَائِلًا: ((إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا)), وَأَيْنَ مِنْ هَذِهِ الزَّوَاجِ الْعَظِيمَةِ، أُولَئِكَ الدَّاعِونَ إِلَى الْفُحْشِ وَالْجَرِيمَةِ، الْمُفْسِدُونَ لِلْأَجْيَالِ الْكَرِيمَةِ، الَّذِينَ يُرَوِّجُونَ لِلْمُخْدِرَاتِ وَالْمُؤْثِرَاتِ الْعُقْلَيَّةِ، الَّتِي تَهْدُرُ الْكَرَامَةَ الْإِنْسَانِيَّةَ، وَتُعَطَّلُ الطَّاقَاتِ الشَّيَّابِيَّةَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا نُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾^(١)، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسَرِّفِينَ، الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾^(٢)، فَأَيْنَ نَحْنُ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ وَالْتَّوْجِيهَاتِ؟ فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -، وَاحْرِصُوا عَلَى إِشَاعَةِ الْأَمْنِ وَالسَّكِينَةِ، وَحَفْظِ الْحُقُوقِ وَالْطَّمَانِيَّةِ.

هَذَا وَصَلُوْا وَسَلَمُوا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِينَ، وَقَائِدِ الْغُرُّ الْمُحَجَّبِينَ، فَقَدْ أَمْرَكُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ حِيثُ قَالَ عَزَّ فَائِلًا عَلَيْمًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصْلِلُونَ عَلَى النَّبِيِّ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلَوَاعَلَيْهِ وَسَلَمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٣).

(١) سورة الأعراف / ٥٦ .

(٢) سورة الشعراء / ١٥٢-١٥١ .

(٣) سورة الأحزاب / ٥٦ .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَسَلَّمْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمَيْنِ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضُ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعُلْ جَمِيعَنَا هَذَا جَمِيعًا مَرْحُومًا، وَاجْعُلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلَا تَدْعُ فِينَا وَلَا مَعَنَا شَقِيقًا وَلَا مَحْرُومًا. اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالنُّقْيَى وَالْعَفَافَ وَالغَنَى.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْزُقَ كُلَّا مِنَا لِسَانًا صَادِقًا ذَاكِرًا، وَقَلْبًا خَاسِعًا مُنْبِيًّا، وَعَمَلاً صَالِحًا زَاكِرًا، وَعِلْمًا نَافِعًا رَافِعًا، وَإِيمَانًا رَاسِخًا ثَابِتًا، وَيَقِينًا صَادِقًا خَالِصًا، وَرِزْقًا حَلَالًا طَيِّبًا وَاسِعًا، يَا ذَا الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَوَحْدَ اللَّهُمَّ صُوفُّهُمْ، وَأَجْمَعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الْحَقِّ، وَأَكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَأَكْتُبْ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أُوْطَانَنَا وَأَعْزَّ سُلْطَانَنَا وَأَيْدِهِ بِالْحَقِّ وَأَيْدِيهِ بِالْحَقِّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا اسْقِنَا مِنْ فَيْضِكَ الْمِدَارِ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الْذَّاكِرِينَ لَكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، الْمُسْتَغْفِرِينَ لَكَ بِالْعَشَيِّ وَالْأَسْحَارِ.

اللَّهُمَّ أَنْزَلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزُرُوْعِنَا وَكُلْ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتَنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ.

رَبَّنَا لَا تُرْغِبْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ.

رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبٌ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللَّهِ: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَاتِ وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ».